اللغة العربية

في البلاد الاسلامية غير العربية [1]

— ٣ —

اللغة العربية في الهند

(١)

لما امتد الفتح بالعرب شطر المشرق حتى جاوزوا افغانستان ، هبطوا إقليم المُلتان من الهند ولكنهم لم يستقروا فيه ٠

ثم حاولوا فتح الهند من جهة الساحل حيث يصب نهر السند في البحر المحيط فغزوا غزوات هناك ٠ فلما كان زمان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سيّر الحجاج بن يوسف الثقفي جيشاً لفتح الهند وجعل إمرته لابن أخيه محمد ابن القاسم ففتح العرب اقليم السند حتى المُلتان ولم يتوغلوا في الهند ٠ ودام لهم سلطان فيما فتحوه زهاء مائتي سنة وبنوا هناك المدائن وعمروا الأرض ٠

وفي القرن الرابع الهجري اتخذ المسلمون لفتح الهند طريقاً آخر وتولى الفتحَ السلطان محمود الغزنوي احد ملوك الدولة الغزنوية (٣٥١ — ٥٧٩ ﻫ) وقد أعدّ العُدّة وحشد الجيوش واحتفل للغزو وهبط سهول الهند بجيوشه أكثر من خمس عشرة مرة ما بين سنة ٣٩١ وسنة ٤١٧ فدانت له بنجاب وكشمير وكجرات ٠ واستقر سلطان الغزنويين في بنجاب ٠

ولما غُلبوا على غزنة دار ملكهم — غلبتهم عليها الدولة الغورية — اتخذوا لاهور حاضرة الملك سنة ٥٢٣ ﻫ ٠ فكانت لاهور اول حاضرة في الهند لدولة اسلامية ٠

---

(١) تتمة المقال المنشور في الصفحة ٣٠ من الجزء الأول والثاني من المجلد الثاني والعشرين ٠

ومهّد فتح الغزنويين طريقَ الدول الاسلامية الى الهند ، وهيّأ البلاد لنشوء دول اسلامية فيها ، ففتح الغوريون طرفاً من البلاد ، ونشأت في داخلها دول كثيرة منها دول سلاطين دهلى التي سيطرت على دهلى وما يتصل بها من سنة ٦٠٣ الى سنة ٩٣٢ .

وقد فتحت الدولُ الاسلامية شماليَّ الهند حتى خليج بنغالة وبسطت سلطان الاسلام وحضارته هنالك .

وفي القرن العاشر الهجري توجّه الى الهند داهية عبقري لا تنشئ الأجيال مثله الا قليلاً ، فأقام فيها أعظم الدول الاسلامية الهندية .

ذالكم محمد ظهير الدين بابر من حَفَدة الفاتح الجبار تيمورلنك .

ورث هذا الأمير من أبيه إمارة فرغانة وسمرقند سنة ٨٩٩ وهو في سن الثانية عشرة وتقلبت به غِيَر ، وتداولته خطوبٌ حتى غُلب على إمارته الموروثة بعد سبع سنوات . ولكن هذا الشاب العبقري كان أجرأ وأصبر من أن يستكين للحادثات فبقي ثلاث سنين شريداً ليس في يده من الملك شيء ، ولكن كان في ضمان عزمه وهمته أن يكون ملكاً في بلاد أوسع من فرغانة وسمرقند . فتوجه تلقاء كابل ففتحها سنة ٩١٠ هـ .

وتمكن ملكه في كابل واتجه طاحه وهمه الى الأرض الواسعة الغنية ، عزم على فتح الهند .

فأخذ يغير على اطرافها منذ سنة ٩٢٥ حتى مكنته شجاعته وهمته ودهاؤه أن يهزم السلطان ابراهيم اللودي سنة ٩٣٢ في موقعة پانيپات التي سقط فيها السلطان بين خمسين ألفاً من جنده .

وبعد هذه الموقعة بستة أيام خُطب لظهير الدين بابر في دهلى يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة ٩٣٢ هـ .

ولم يثبت له جيش بعد ذلك حتى الجيوش التي حشدها أمراء الهند وحشروا

فيها من الجند والفيلة جموعاً يقودها مائة وعشرون قائداً على رأسهم سانجا زعيم أمراء رَجْبوت . فلقي بابر بعد سنتين من موقعة پانيپات ظفراً أعظم من ظفرها في موقعة كندها .

لم يثبت أحد من بعد لسطوة بابر ، فأقام دولة في الهند دام سلطانها ثلاثة قرون ونصف على اختلاف الغير وتبدل الحالات .

توالى على عرش الهند ملوك عظام مدوا سلطانهم على أرجاء الهند ، وأقروا فيها القانون ، والعدل ، وأشاعوا فيها الحضارة والثقافة ، ولا سيما الستة الأولون من ملوك هذه الدولة من بابُر الى أورنَك زيب ، فقد تداولوا السلطان مائتي عام ، وبلغت الدولة في سلطانهم أوجها .

وقد شرعوا شرائع عادلة ، وسنّوا سنناً حسنة ، وجمعوا حولهم العلماء والفلاسفة والأطباء والأدباء والصناع من أقطار الأرض ، وشادوا من الأبنية ما لا يزال يحدث بقوتهم وحضارتهم .

وقد بقيت هذه الدولة الى سنة ١٢٧٤ هـ حين أزالها الانكليز بعد أن نقصوا أطرافها وزلزلوا أركانها .

(٢)

هذه الدول الاسلامية التي توالت على الهند منذ الفتح العربي الأول عملت في نشر الحضارة الاسلامية واللغة العربية .

نشر العرب لغتهم هنالك ، واتخذ مسلمو الهند ، كسائر مسلمي العالم ، اللغة العربية لغة علم وأدب على مرّ العصور .

وكان دخول العربية الى الهند على طريقتين :

الأولى : في ثنايا اللغة والآداب الفارسية . فالفارسية قد أخذت من العربية على النحو الذي بيّنت من قبل ، ثم صارت لغة الدولة ولغة التدوين في الهند منذ عهد الغزنويين . لا سيما في عهد الدولة المغولية التي ذكرتها آنفاً .

وقد عدّ الشيخ شبلي النعماني في كتابه (شعر العجم) واحداً وخمسين شاعراً فارسياً جاءوا الى الهند في عهد السلطان جلال الدين اكبر (٩٦٣ ـ ١٠١٤ ﻫ) وعد المداوني اكثر من هؤلاء ومعظمهم فارسي الأصل ، منهم من نشأ في الهند ، ومنهم من طرأ عليها . كما عدّ من العلماء والفلاسفة والأطباء الذين عاشوا في كنف هذه الدولة أكثر من مائة وخمسين .

ثم نشأت اللغة الأردية في كنف اللغة العربية والفارسية ، فكان أثر العربية فيها كأثر العربية في الفارسية :

شرع أدباء الهند يدخلون في الأدب الفاظاً وجملاً من الهندية في القرن السابع الهجري اذ استعمل الشاعر الكبير الأمير خسرو الدهلوي (٦٥٣ـ٧٢٥ﻫ) كثيراً من هذه الالفاظ ، ونظم شعراً ملمعاً من الفارسية والهندية .

ثم كتب بعض الصوفية في القرن التاسع الهجري بالهندية ليقربوا الى العامة آراءهم ومواعظهم ، ولم يكن لهم بدّ من استعمال كثير من الألفاظ العربية والفارسية ، اذ كانتا لغتي العلم والأدب حينئذ .

وكتبوا هذه الهندية المشوبة بالعربية والفارسية بالخط العربي فنشأت اللغة التي عرفت من بعد باسم الاردية .

ولم ينبغ شعراء الاردية العظام الا منذ القرن الثاني عشر الهجري .

فهذا دخول العربية الى الهند في ثنايا الفارسية والعربية .

وأما استعمال العربية لغة مستقلة فقد عرف في عصور الهند كلها منذ الفتح العربي الأول ، ولا سيما بعد أن توغل المسلمون في أرجاء الهند ونشروا لغة القرآن ، فكتب فيها مؤلفون على مرّ الزمان .

ومن المؤلفين بالعربية فيضي المتوفى سنة ١٠٠٤ ﻫ وهو صاحب التفسير المسمى « سواطع الالهام » ، وقد التزم أن يخلي تفسيره من الحروف المعجمة كلها . وهذا ، على قلة جدواه ، لا يتاح الا لمتمكن في العربية ، واسع العلم بها .

ومن كبار المؤلفين عبد الحليم السيالكوتي المتوفى سنة ١٠٦٧ ﻫ ، ومؤلفاته في علم الكلام معروفة .

ومن الفقهاء محب الله البهاري ، له مؤلفات في الفقه والمنطق . ومنهم الشيخ نظام الذي أشرف على جمع الفتاوى الهندية في عصر السلطان اورنك زيب (١٠٦٩ـ١١١٨ ﻫ) .

وفي مقدمة هذه الفتاوى ما يدل على التأنق في العربية والادلال بمعرفة غريبها ، جاء فيها :

« وبعد فان الفقه حاجز بين الهداية والضلال ، وقسطاس مستقيم لمعرفة مقادير الأعمال ، وعيالمُه الزاخرة لا يوجد لها قرار ، وأطوادها الشامخة لا يدرك قنونها بالأبصار ... فمنّ الله عليهم باستنارة صديع سلطنة الملك الصلهام ، وانفلاق صبح دولة السلطان الهَمَيْسع القَمقام ، القَرم المُقرَم ، والقِذَمّ الفِلهَذَم ، رُزَم آجام الوغى ، وقَفصل غياض المزدَحَم المَطيم على العدل والشجاعة والندى ، والمفطور تقنُه من الزهد والورع والتقوى أمير المؤمنين ورئيس المسلمين ، إمام الغزاة ، ورأس المجاهدين أبو المظفر أورنك محي الدين محمد زيب بهادر عالم كير پادشاه غازي أيّد الله تعالى سلطانه وعمّم على البرية كافةً احسانه » .

ومن المؤلفين بالعربية الشيخ ولي الله الدهلوي مؤلف « حجة الله البالغة » ، وكتب أخرى .

ولا يزال علماء المسلمين وأدباؤهم في الهند يؤلفون بالعربية وينشرون القيّم من كتبها ، ويشرحونه أحياناً ، ولا تزال الهند موطناً من مواطن لغة القرآن .

ومن المؤلفين بالعربية في عصرنا الشيخ شبلي النعماني وأصحابه من رجال ندوة العلماء والسيد صديق حسن خان مؤلف كتاب حقوق النسوة وكتب أخرى قيمة . وكرامت حسين مؤلف فقه اللسان في اللغة ، والشيخ عبد العزيز الميمني ،

له كتب قيمة في الأدب منها كتابه عن أبي العلاء و «زيادات شعر المتنبي» وقد نشر في القاهرة كتاب سمط اللآلي في شرح الأمالي للزبيدي .

ومنهم زاهد علي ناشر ديوان ابن هانئ ، وكثيرون غير هؤلاء . وقد نشروا من كتب العربية القيمة كتباً كثيرة منها الجمهرة لابن دريد ولزوميات المعري .

وقل أن لقيت في مصر من مسلمي الهند عالماً أو متعلماً الا يعرف العربية ويتكلم بها على حداثة عهده ، بالبلاد العربية ، ولولا عنايتهم بتعلمها والتكلم بها في ديارهم ما تيسر لهم كتابتها والتحدث بها في بلاد العرب بعد اقامة قصيرة .

وكثيراً ما أتلقى رسائل عربية من علماء في الهند لم يقيموا بالبلاد العربية ، وهي تشهد بتمكنهم من العربية ، ومسايرتهم تطورها في هذا العصر .

عبد الوهاب عزام